ورقة علمية

التدمير الإسرائيلي في قطاع غزة

دراســة حالـة في "إبادة المكان"

إبراهيم عبد الكريم

آذار/ مارس 2024

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

جميع إصدارات ومنشورات المركز تعبّر عن رأي كتابها
ولا تعبّر بالضرورة عن رأي مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات 1

مقدمة 2

"إبادة المكان"... تأصيل نظري 4

تدمير إسرائيلي ممنهج لقطاع غزة بأدوات إبادة جماعية 7

تدمير إضافي خاص لإنشاء "منطقة عازلة" 10

نتائج التدمير الإسرائيلي مفتوحة على المزيد 12

تخريب البيئة في قطاع غزة كجزء من "إبادة المكان" 15

ادعاءات إسرائيلية واهية مدحوضة 20

دعوات إسرائيلية صريحة تجعل التدمير في خدمة التهجير 23

تدمير المباني خلال الحرب في المنظور القانوني 29

موقف المقرر الأممي راجاغوبال 30

المساءلة والمحاسبة القانونية الدولية الواجبة لـ"إسرائيل" 33

خاتمة 35

التدمير الإسرائيلي في قطاع غزة

دراسة حالة في "إبادة المكان"

إبراهيم عبد الكريم[1]

مقدمة:

تتأطر أعمال التدمير الإسرائيلي للتجمعات السكنية الفلسطينية، على تنوّع مكوناتها واستخداماتها، بالرغبة الجامحة في نزع الشرعية عن وجود الشعب الفلسطيني في البلاد، وبناء الكيان الإسرائيلي على أنقاضه في جميع أنحاء المناطق الفلسطينية.

وقد ظهر خلال الترجمة العملية لذلك، على امتداد العقود الماضية، وجود مخزون هائل من العداء الإسرائيلي، اتضح منه أن هناك وَلَعاً إسرائيلياً خاصاً ومميزاً باستعمال الوسائل التي تمحو كل ما يتصل بالشعب الفلسطيني، مادياً ومعنوياً، بطريقة سادية جماعية مُفرِطة، اتساقاً مع استراتيجية "الإبادة السياسية Politicide" الإسرائيلية للشعب الفلسطيني، التي تقوم على ارتكاب جرائم تُفضي إلى سحق هويته الوطنية، وإلغاء إرادته، ووأد طموحاته وتطلعاته، وتصفية قضيته، واجتثاث جذور تطوره المستقل.

---

[1] باحث فلسطيني مُقيم في سورية، متخصص بالشؤون الإسرائيلية وقضية فلسطين والصراع العربي – الصهيوني. عمل باحثاً متفرّغاً، منذ سنة 1980، في مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية بدمشق، وترأس التحرير في هذه المؤسسة خلال الفترة 1994–2021. قدّم محاضرات في مؤسسات أكاديمية وبحثية، داخل سورية وخارجها، وهو عضو اتحاد الكتّاب العرب: جمعية البحوث والدراسات، منذ سنة 1995، وعضو اتحاد الكتّاب الفلسطينيين، منذ سنة 1980. نُشِرَ له 25 كتاباً، ومئات الأبحاث والدراسات.

وجاء العدوان الإسرائيلي الراهن على قطاع غزة ليجسد مجدداً جانباً من هذه الحقيقة، ممثلة بالتطلع لفرض أمر واقع جديد مغايراً تماماً للواقع الذي كان قائماً، وضمناً محاولة القضاء على المقاومة والتحكم بمصير القطاع، عبر القيام بتدميرٍ واسع النطاق فيه.

ولدى تحرّي مكوّنات السياق العام لهذا التدمير، يتبيّن أنه يأتي وفق ترابط نمطيْن من التوجهات الإسرائيلية الناظمة للتعامل مع فلسطين، الجغرافيا والشعب والقضية، وهما مصطلحان متداولان، باللاتينية؛ الإبادة الجماعية (Genocide: Genos = الناس، وCide = قتل)، وإبادة المناطق الحضرية (Urbicide = Urbs حاضرة + Cide قتل).

على أرضية هذا الترابط، ثمة ما يستدعي من الجهات والفعاليات الفلسطينية تناول موضوع التدمير الإسرائيلي الجاري في قطاع غزة، لتغذية القنوات القانونية الدولية المتعددة، التي فُتحت إحداها بالدعوى التي رفعتها جنوب إفريقيا أمام محكمة العدل الدولية International Court of Justice في لاهاي، وطلبت فيها محاكمة "إسرائيل" بارتكاب جرائم "إبادة جماعية" في غزة.

ولهذه الغاية، يتعيّن استيضاح الحجم الهائل للتدمير الإسرائيلي في قطاع غزة وآثاره المختلفة على الإنسان، محور "الإبادة الجماعية"، وعلى المكان الذي يعيش فيه ويرتبط معه بعلاقة وجودية حيوية، استناداً لبيانات موثّقة وشهادات دولية، حول ذلك التدمير، والنتائج المرتبطة به، وكشف دوافع السلوك والذرائع الإسرائيلية، نظراً لأن أي محاججة قانونية أو سياسية مطالبة بتقديم أدلة وقرائن ومعطيات صحيحة مناسبة.

وتُعنى هذه الدراسة بالإسهام في توضيح هذه المسألة، فتحاول تقديم تأصيل نظري لقضية "إبادة المكان"، وتعرض معطيات مفصّلة حول التدمير الإسرائيلي الممنهج في قطاع غزة، وإزالة المباني لإنشاء "منطقة عازلة"، ونتائج التدمير المفتوحة على المزيد، وتدمير البيئة في القطاع كجزء من "إبادة المكان".

وتسوق الدراسة ادِّعاءات إسرائيلية واهية لتسويغ التدمير تدحضها الحقائق، والعديد من الدعوات الإسرائيلية الصريحة التي تجعل التدمير في خدمة التهجير. وتطرح الدراسة مسألة تدمير المباني خلال الحرب في المنظور القانوني، وموقف مقرر الأمم المتحدة United Nations (UN) الخاص المعني بالحق في السكن اللائق بالاكريشنان راجاجوبال Balakrishnan Rajagopal، وأخيراً المساءلة والمحاسبة القانونية الدولية الواجبة لـ"إسرائيل".

وتهتم الدراسة بتوظيف تقارير لمصادر صحفية دولية وازنة، ومواد مترجمة عن صحفٍ إسرائيلية، تقتضيها الحالة، مع ملاحظة أن هذه المواد تشمل مفاهيم ومصطلحات صهيونية تضليلية مكشوفة. وسيجري لدواعٍ بحثية وتوثيقية استعمال كلمات من اللغة المسماة "العبرية".

"إبادة المكان"... تأصيل نظري:

يمكن الانطلاق في معالجة الموضوع المثار من استخدام الأسس العلمية التي صاغها الخبراء والمتخصصون، والتي قدّموا فيها تعريفات ومفاهيم مكتملة، تصلح كمعايير للحكم على أي حالة مدروسة.

في هذا النطاق، اعتمد البروفيسور البريطاني في السياسة الدولية مارتن كوارد Martin Coward مصطلح "أوربيسايد = إبادة المناطق الحضرية"، والذي عنوَن به كتاباً له نشره سنة 2009، في الولايات المتحدة وكندا، عن دار روتليدج Routledge.[2] وفيه يذكر كوارد أن ذلك المصطلح أصبح شائعاً خلال حرب البوسنة 1992–1995، كوسيلة للإشارة إلى التدمير المتعمّد والواسع النطاق للبيئة الحضرية وبأشكال عنفية. ويحدِّد كوارد فهماً نظرياً للحالة الحضرية المعرضة للخطر في مثل هذا العنف، ويؤكد

[2] Martin Coward, *Urbicide: The politics of urban destruction* (USA and Canada: Routledge, 2009), https://urbanisticaeretica.files.wordpress.com/2015/10/2009-urbinicide-the-politics-of-urban- destruction -martin-coward.pdf

أن المباني مستهدفة لأنها تتيح مساحة عامة تعددية تتعارض مع الأهداف السياسية للأنظمة القومية العرقية. وقد جرى توضيح الأمر بإشارته إلى العديد من صراعات ما بعد الحرب الباردة، بما في ذلك البوسنة والشيشان و"إسرائيل" وفلسطين، وكان بذلك أول تحليل شامل للعنف المنظم ضدّ البيئات الحضرية، متضمناً منظوراً أصلياً للذين يسعون إلى فهمٍ أفضل للتحضر والعنف السياسي وسياسة الإقصاء.[3]

وفي المنحى ذاته، ألّف كينيث هيويت Kenneth Hewitt، البروفيسور في قسم الجغرافيا والدراسات البيئية بجامعة ويلفريد لوريير Wilfrid Laurier University، بكندا، كتاباً نشره سنة 2009، بعنوان "إثبات أسباب إبادة المناطق الحضرية: وجهات نظر مدنية وحضرية حول قصف العواصم"، درس ضمنه حالات تطبيقية في قصف لندن وبرلين وطوكيو إبّان الحرب العالمية الثانية، وهي حالات رأى أنها كانت الاختبار الجدّي الأول والوحيد للقوة الجوية الاستراتيجية، وقتل المدن لتحديد نتائج الحرب. وأوضح المؤلف أنه كان لقصف المستوطنات الحضرية تأثيرات رئيسية على المدنيين المقيمين، ومساحة المعيشة، والوظائف غير العسكرية.[4]

ومما يُذكر أن قتل المناطق الحضرية ليس جديداً؛ فقد دمّر الرومان قرطاجة؛ وقضى المغول على جيرانهم؛ ودُمّرت دريسدن وناجازاكي، كل ذلك وسواه هو محو مُتعمَّد للمناطق المأهولة بالناس، حيث تُعدّ مهاجمة المباني هجوماً ضمنياً على الحالة الإنسانية. وكحالة دراسية، استعمل الروائي الأفرو-أمريكي جيمس بالدوين James Baldwin وصف "إزالة الزنوج Negro Removal"، لدى تدمير أحياء الأمريكيين من أصل إفريقي من أجل "التجديد الحضري"، مما أدى بالأساس إلى إفساح المجال أمام

[3] Martin Coward, "Urbicide: The Politics of Urban Destruction," *Global Discourse* journal, vol. 1, issue 2, January 2010, pp. 186–189, https://www.researchgate.net/publication/270847619_Urbicide_The_Politics_of_Urban_Destruction_By_Martin_Coward

[4] Kenneth Hewitt, "Proving Grounds of Urbicide: Civil and Urban Perspectives on the Bombing of Capital Cities," *ACME: An International E-Journal for Critical Geographies*, vol. 8, issue 2, 2009, pp. 340–375, https://acme-journal.org/index.php/acme/article/view/835/692

السكان البيض القادمين. وخلال سقوط يوغوسلافيا، والمذبحة المصاحبة لها، جرى استخدام كلمة "أوربيسايد" لوصف تدمير الحواضر، المدن والمناطق، في سياق الإبادة الحقيقية، إذ جرى تدمير مدن مثل دوبروفنيك وفوكوفار وموستار، وتُركت غير صالحة للسكن. وفي الوقت ذاته، كان استهداف مكتبة سراييفو ومسجد فرهاديا في بانجا لوكا بمثابة محاولات متعمدة لتدمير المباني ذات القيمة الرمزية الكبيرة.[5]

تلازماً مع ظاهرة إبادة المناطق الحضرية، جرى في الدراسات الأكاديمية السياسية والاجتماعية وسواها، استعمال مصطلح دوميسايد Domicide، باللاتينية، في حالة تدمير، أو قتل، المنازل، بحيث تصبح غير صالحة للسكن. وقد ظهر هذا المصطلح لأول مرة، قبل أكثر من عقدين، في كتاب بعنوان "دوميسايد: التدمير العالمي للمنزل Domicide : The Global Destruction of Home"، ألّفه الجغرافي جون دوغلاس بورتيوس John Douglas Porteous، والأستاذة المساعدة في الجغرافيا ساندرا إيلين سميث Sandra Eileen Smith، ونُشر بإصدارات متعددة، في كندا ولندن ونيويورك وسواها. وفيه تناول المؤلفان هذه الظاهرة وأبرزا معالمها وسبل مواجهتها، وخلال ذلك بحثا العلاقة بين الموطن الأصلي والمنزل، والتي يُستشف منها أن لفظ Home يتخذ معنى أوسع من "المنزل"، ليدل على "وطن"، وبهذا يمكن أن يدور الحديث عن "تدمير وطن". وعلى أي حال، عبر اعتماد لفظة "منزل"، يوضح هذا الكتاب، في طبعة له سنة 2001، أنه يجري تدمير المنازل لأسباب متعددة، يتصدّرها قيام الأقوياء بهذا العمل لإزالتها من طريق مشاريعهم، بالتذرع عادة بخدمة المصلحة العامة. ويتضمن الكتاب مدى أهمية المنازل أو المباني لحياة الناس والمجتمع، وتأثيرات تدميرها، والعواقب المترتبة على خسارتها، واقتراح سياسات لتخفيف معاناة أصحابها، ومقاومة المشاريع غير المقبولة التي تستهدفها.[6]

[5] Charlie Lawrence, "Urbicide: the killing of a city is an attack on the human condition," site of City Monitor, 23/1/2018, https://citymonitor.ai/environment/urbicide-killing-city-attack-human-condition-3617

[6] John Douglas Porteous and Sandra Eileen Smith, *Domicide: The Global Destruction of Home* (McGill-Queen's Press - MQUP, 2001), https://books.google.com/books/about/Domicide.html?id=6t_KSirfEnsC

نُشر الكتاب مجتزءاً في الرابط التالي:

https://books.google.com/books?id=6t_KSirfEnsC&printsec=frontcover&hl=ar#v=onepage&q&f=false

نحن وفي هذه الحالة أمام محدّدات واضحة لمصطلح قتل المنازل، الذي انتشر على نطاق واسع في الأوساط الأكاديمية والحقوقية، بأنه يتعلق بالقضاء على المباني التي تُستعمل لشتى الأغراض، والتي يتعذر فصل وظيفتها عن الحياة الإنسانية، بكل جوانبها الذاتية والعامة. ومن ثم يصلح هذا المصطلح للاستئناس به لدى دراسة حالة التدمير الإسرائيلي في قطاع غزة، سواء من حيث مكوناتها الخاصة، أم من حيث تشابهها مع نماذج دولية معروفة.

تدمير إسرائيلي ممنهج لقطاع غزة بأدوات إبادة جماعية:

تتيح متابعة شهادات متعددة المصادر، الإحاطة التوثيقية لقيام "إسرائيل" منذ بدء عدوانها على قطاع غزة، اعتماد تدمير مبرمج؛ ابتدأ بقصف تمهيدي مكثّف، ومتواصل على امتداد الأشهر اللاحقة، وباستخدام جميع أنواع الأسلحة التقليدية الموجودة لدى قواتها البرية والجوية والبحرية، ومنها المواد المتفجرة في القذائف والصواريخ والتي كانت بأوزان وقوى تدميرية هائلة.

ومن المعلومات التي يجدر التوقف عندها، تقرير نشرته صحيفة "فاينانشيال تايمز Financial Times" البريطانية، في 2023/12/6، مع عبارة مثيرة؛ "القنابل الإسرائيلية تنهمر على غزة"، فقد وصف فيه الحرب الإسرائيلية على القطاع بأنها الأكثر عنفاً ودموية في التاريخ. وأوضح التقرير أن "إسرائيل" استهلكت كميات ضخمة من الذخيرة، واستخدمت الأسلحة الغربية الحديثة؛ من القنابل الموجهة عبر الأقمار الاصطناعية إلى الصواريخ الدقيقة الموجهة بالليزر، وبذلك اقترب الضرر الذي أحدثه الهجوم الإسرائيلي، كما يقول المحللون العسكريون، من الأضرار التي سببها القصف الشامل الذي دام سنوات على المدن الألمانية خلال الحرب العالمية الثانية. ونقل التقرير عن المؤرخ العسكري الأمريكي روبرت باب Robert Pape، قوله: "إن دريسدن وهامبورغ وكولونيا (Dresden, Hamburg, Cologne) مدن تذكّر أسماؤها بأعنف حملات القصف في القرن العشرين، وسيتم إدراج اسم قطاع غزة أيضاً كمكان جرت فيه أعنف حملات القصف التقليدية في التاريخ، حيث سويت أحياء بأكملها

بالأرض". وعزا التقرير بعض أسباب حجم الدمار إلى نوعية الذخائر التي تستخدمها "إسرائيل"، والتي من بينها قنابل موجهة بدقة تزن 250 رطلاً، وصواريخ هيلفاير Hellfire الموجهة بالليزر وصواريخ سبايك Spike، إلا أن من بينها أيضاً "قنابل غبية" غير موجهة؛ أي تحدث دماراً عشوائياً إلى جانب تدميرها النقطي – الباحث، من طراز أم 117 – M117، وقنابل تزن 2,000 رطل (نحو 1000 كغ). وبتوصيف مارك غارلاسكو Marc Garlasco، المستشار العسكري لمنظمة باكس PAX الهولندية غير الحكومية، والموظف السابق في البنتاغون؛ إن حجم القنابل الذكية، أو ما تسمى ذخائر الهجوم المباشر المشترك، هائل للغاية، لدرجة أن "المباني تتفكك وتنهار ويتشظى الإسمنت والمعادن والهواتف المحمولة، وكل شيء آخر يتطاير من الانفجار بسرعات تفوق سرعة الصوت". أما السبب الثاني لارتفاع مستوى الدمار فهو شدة القصف الإسرائيلي. وكإشارة للإصرار على المزيد من الدمار، وقد أشار التقرير إلى أن رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو Benjamin Netanyahu كان صريحاً في التعبير عما تحتاجه "إسرائيل"، عندما قال لمجموعة من المسؤولين الحكوميين: "نحتاج إلى ثلاثة أشياء من أمريكا هي؛ الذخائر، ثم الذخائر، ثم الذخائر: We need three things from America: munitions, then munitions, then munitions"."[7]

بنيامين نتنياهو

وطبقاً لتقرير نشرته صحيفة "الغارديان The Guardian" البريطانية، في 2023/12/7، أسقطت "إسرائيل" من الذخيرة في غزة في بضعة أسابيع ما أسقطته الولايات المتحدة في أفغانستان طوال عام كامل.[8]

وجاء في تقرير لصحيفة "واشنطن بوست The Washington Post"، في 2023/12/14، شارك في إعداده أربعة صحفيين: "إن القوات الإسرائيلية أطلقت على القطاع منذ بداية حربها، حتى ذلك

[7] John Paul Rathbone, "Military briefing: the Israeli bombs raining on Gaza," site of *Financial Times* newspaper, 6/12/2023, https://www.ft.com/content/7b407c2e-8149-4d83-be01-72dcae8aee7b

[8] Patrick Wintour, "Widespread destruction in Gaza puts concept of 'domicide' in focus," site of *The Guardian* newspaper, 7/12/2023, https://www.theguardian.com/world/2023/dec/07/widespread-destruction-in-gaza-puts-concept-of-domicide-in-focus

التاريخ، أكثر من 29,000 قنبلة من الجو، وكانت نسبة الموجهة منها بدقة بين 55–60%"، بتقدير مكتب مدير الأمن الوطني الأمريكي، أما البقية فتعرف في المصطلحات العسكرية بـ"القنابل الغبية".[9]

وتضمّن تحقيق واسع لصحيفة "النيويورك تايمز The New York Times" في 2023/12/21، شارك فيه ستة صحفيين، معلومات موثقة لتحقيق أجرته صحيفة "التايمز The Times" البريطانية، مستخدمة الصور الجوية والذكاء الاصطناعي، منها؛ أن "إسرائيل" ألقت بصورة روتينية—حتى في مناطقٍ أمرت المدنيين في غزة بالانتقال إليها بحثاً عن الأمان—قنابل من طراز أم كا–84 أو MK-84، وهي واحدة من أكثر الذخائر تدميراً في الترسانات العسكرية الأمريكية والغربية، وكل منها بوزن 2,000 رطل (نحو 1000 كغ)، وتطلق موجة انفجارية وشظايا معدنية على مساحة واسعة في كل اتجاه. ووفقاً لخبراء الذخائر، شكلت هذه القنابل حُفراً عرضها 13م أو أكثر، بلغ عددها آنذاك 208 حُفر. وحسب التحقيق ذاته، أرسلت الولايات المتحدة إلى "إسرائيل" أكثر من 5 آلاف قنبلة من هذا الطراز، بالإضافة إلى أنواع أخرى، منها قنبلة أصغر حجماً تسمى جي بي يو–39 أو GBU-39، ويصفها المسؤولون الأمريكيون بأنها قادرة على ضرب أهداف تحت سطح الأرض وأكثر ملاءمة للبيئات الحضرية مثل غزة.[10]

وذكر تقرير، نشر في 2023/12/11، وأعده ثاليف دين Thalif Deen، من الأمم المتحدة، أن استخدام "إسرائيل" المتحرر للأسلحة شديدة القوة في المناطق الحضرية المزدحمة شمل قنابل أمريكية الصنع وزن كل منها ألفَي رطل، دمّرت منازل وبنايات شاهقة في غزة، وقتلت آلاف الفلسطينيين، ويعرف الأمريكيون جيداً كيف ومتى سيتم استخدام تلك القنابل، ولديهم معلومات استخباراتية حول مكان إسقاطها، ولديهم دعم سياسي كامل لتسويغ النتيجة المدمرة. ونقل التقرير عن مارك غارلاسكو، قوله:

[9] John Hudson, Louisa Loveluck, Victoria Bisset and Karen DeYoung, "Unguided 'dumb bombs' used in almost half of Israeli strikes on Gaza," site of *The Washington Post* newspaper, 14/12/2023, https://www.washingtonpost.com/national-security/2023/12/14/israel-unguided-dumb-bombs-gaza

[10] Robin Stein et. al., "Times Investigation Tracked Israel's Use of One of Its Most Destructive Bombs in South Gaza," site of *The New York Times* newspaper, 21/12/2023, https://www.nytimes.com/2023/12/21/world/middleeast/israel-gaza-bomb-investigation.html

"هذا يفوق أي شيء رأيته في حياتي المهنية". وذكر التقرير أن تدفق الأسلحة الأمريكية إلى "إسرائيل" شمل نحو 15 ألف قنبلة و57 ألف قذيفة مدفعية، ولم تكشف الولايات المتحدة عن العدد الإجمالي للأسلحة التي أرسلتها إلى "إسرائيل".[11]

وأفادت بيانات نشرها موقع "ميدل إيست مونيتور Middle East Monitor" في 2024/1/4، بأن "إسرائيل" أسقطت على غزة ما يزيد عن وزن وقوة ثلاث قنابل نووية؛ كتلك التي ألقيت على مدينة هيروشيما اليابانية، شملت أكثر من 45 ألف قنبلة تزن أكثر من 65 ألف طن، وأكثر من 45 ألف صاروخ وقنابل عملاقة، وقنابل خارقة للتحصينات من أنواع؛ بي أل يو-113 أو BLU-113، وبي أل يو-109 أو BLU-109، وأس دي بي أس SDBS، وجي بي يو-28 أو GBU-28، موجهة بأنظمة تحديد المواقع "جي بي أس GPS" لتدمير البنية التحتية، وكذلك ألقت الفوسفور الأبيض، وصواريخ ذكية، بالإضافة إلى "القنابل الغبية" أو غير الموجهة.[12]

تدمير إضافي خاص لإنشاء "منطقة عازلة":

على المسار التدميري الشامل، تناولت تقارير كثيرة قيام الجيش الإسرائيلي بتدمير آلاف المباني على طول السياج المحيط بقطاع غزة وتسويتها بالأرض، لغرض إقامة ما يسمى "منطقة عازلة Buffer Zone = אזור החיץ" داخل قطاع غزة، بذرائع، عدوانية، أمنية وسياسية وجغرافية وسواها.

[11] Thalif Deen, Israeli 2,000-pound bunker busting bombs, supplied by the United States, may have wiped out Gaza — Global Issues, site of Good Word News, 11/12/2023, https://goodwordnews.com/israeli-2000-pound-bunker-busting-bombs-supplied-by-the-united-states-may-have-wiped-out-gaza-global-issues/

[12] Israel dropped 65,000 tonnes of bombs on Gaza in 89 days, site of Middle East Monitor (MEMO), 4/1/2024, https://www.middleeastmonitor.com/20240104-israel-dropped-65000-tonnes-of-bombs-on-gaza-in-89-days/

وأورد تقرير للقناة الإسرائيلية الثانية عشرة Channel 12 في 2024/1/23، تفصيلات عن ذلك؛ منها أنه في كامل المساحة العازلة، كان يوجد نحو 2,850 مبنى، وقد جرى تدمير 1,100 منها، ويعمل الجيش الإسرائيلي على تسريع مهمته بإزالة ما تبقى. وكشفت صور الأقمار الصناعية لمنطقة خانيونس، عن وجود نحو 1,050 مبنى في المنطقة العازلة هناك، دُمّر 700 منها، خصوصاً في الجزء الشمالي. وفي وسط قطاع غزة ما تزال المهمة قيد التنفيذ، ومن بين 940 مبنى هناك، دُمّر 180 مبنى حتى الآن. وفي منطقة مدينة غزة على الخط الجوي من مستوطنة ناحل عوز، هناك 390 مبنى في المنطقة العازلة، أُزيل منها نحو 90 مبنى.[13]

وورد في تقرير لصحيفة "يديعوت أحرونوت Yedioth Ahronoth" في 2024/1/24، أن هذه الخطوة تشمل هدم المباني الفلسطينية التي كانت تسيطر على المراقبة وإطلاق النار على المستوطنات القريبة من الحدود مثل؛ نتيف هعسرا، ونير عوز، وكفار عزه، وكيرم شالوم، والأحياء الغربية لسديروت، وأنه جرى بالفعل تدمير أحياء فلسطينية بأكملها، كما هو الحال في بيت حانون وجباليا والشجاعية، وهي خطوة ينفذها الجيش الإسرائيلي بسرعة نسبية وكل يوم، تحت قيادة فرقة غزة، وكجزء من هذه العمليات، كما كشفت القوات الهندسية، أنه يجري تغيير أفق الجانب الإسرائيلي من الحدود عما كان مألوفاً لأي زائر للمنطقة. ونقلت الصحيفة عن ضابط قوله: "أريد من أي شخص من سكان مستوطنات غلاف غزة، أن يعود إلى منزله وأن يفتح النافذة الغربية وألا يرى الشجاعية أمامه، وهذا ما نحن هنا من أجله".[14]

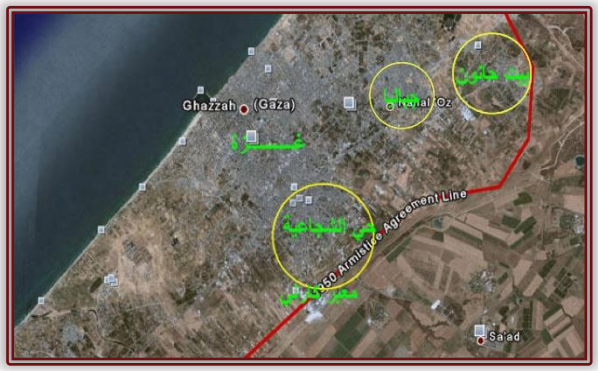

[13] غال حين، كيف تتقدم مهمة إنشاء المنطقة العازلة على حدود غزة؟، موقع القناة 12، 2024/1/23، في:
https://www.mako.co.il/news-military/2024_q1/Article-f4f5dc9e4873d81027.htm (باللغة العبرية)
(גל חן، איך מתקדמת משימת הקמתו של "אזור החיץ" בגבול עזה?)

[14] يوآف زيتون، العملية التفجيرية لإنشاء المنطقة العازلة، والتحرك الرئيسي للمناورة، موقع واينت، 2024/1/24، في:
https://www.ynet.co.il/news/article/rkhvmypka (باللغة العبرية)
(יואב זיתון، המבצע הנפיץ ליצירת אזור החיץ, והמהלך המרכזי של התמרון)

وفي تقرير لصحيفة واشنطن بوست في 2024/1/24، للتعريف بهذه المنطقة العازلة، قال الكولونيل جوناثان كونريكوس Lt. Col. Jonathan Conricus، متحدث سابق باسم الجيش الإسرائيلي: "إن المنطقة ستمتد داخل القطاع لمسافة بعمق تزيد قليلاً عن 800 متر من الحدود، أي أكثر من ضعف المنطقة العازلة قبل الحرب".[15]

وأوضح مصدر لصحيفة "وول ستريت جورنال The Wall Street Journal"، في 2024/1/25، أن "أوامر صدرت للجيش الإسرائيلي لتطهير منطقة بعرض كيلومتر واحد على طول الحدود، كجزء من خطة إسرائيلية لبناء منطقة أمنية داخل غزة مباشرة، والتي سيُمنع الفلسطينيون من الدخول إليها".[16]

ونقل تقرير لموقع "سروجيم Srugim" العبري، في 2024/1/25، عن دراسة أجراها البروفيسور عادي بن نون Adi Ben-Nun، من الجامعة العبرية، فحصت صور الأقمار الصناعية منذ بداية الحرب، أن الجيش الإسرائيلي دمّر حتى ذلك التاريخ 1,070 مبنى من أصل 2,824 مبنى، تقع على بعد كيلومتر واحد من الحدود.[17]

نتائج التدمير الإسرائيلي مفتوحة على المزيد:

بناء على هذه المعطيات، لا شكّ أنه كان من أغراض الاستخدام الإسرائيلي لأضخم القنابل والصواريخ وسواها في القطاع هو إحداث دمار هائل للمباني، والبنى التحتية، وتغيير معالم الأمكنة المستهدفة. وفي هذا الصدد، رسمت المنشورات مقاربة لصورة حجم ما نتج عن ذلك، وهو حجم سيظل مفتوحاً على المزيد من النتائج المصاحبة لاستمرار العدوان.

---

[15] Loveday Morris, Sarah Cahlan and Jonathan Baran, "What to know about Israel's controversial 'buffer zone' in Gaza," *The Washington Post*, 24/1/2024, https://www.washingtonpost.com/world/2024/01/24/israel-buffer-zone-gaza-war/

[16] Dov Lieber, David S. Cloud and Anat Peled, "Israel Builds Buffer Zone Along Gaza Border, Risking New Rift With U.S.," site of *The Wall Street Journal*, 25/1/2024, https://www.wsj.com/world/middle-east/israel-border-gaza-buffer-zone-4131020d?mod=hp_lead_pos7

[17] ليران فاينشتاين، اليوم التالي: إسرائيل تروج لإقامة منطقة عازلة في قطاع غزة، موقع سروجيم، 2024/1/25، انظر: https://www.srugim.co.il (باللغة العبرية)

(לירן וינשטיין, היום שאחרי: ישראל מקדמת אזור חיץ ברצועת עזה)

ومن العيّنات البارزة، ذكرت صحيفة فاينانشيال تايمز البريطانية، أنه في 2023/12/4، تضررت بشدة نحو 60% من المباني في شمال غزة، عبر تحليل بيانات الأقمار الاصطناعية، مما يعني تدمير ما بين 82 ألفاً و105 آلاف مبنى. وللمقارنة، إن قصف الحلفاء لـ 61 مدينة ألمانية كبرى على مدار عامين، أدى إلى تدمير ما يُقدّر بنحو 50% من مناطقها الحضرية فقط.[18]

ووصف مسؤول السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي European Union جوزيب بوريل Josep Borrell، عقب ترؤسه اجتماعاً لوزراء خارجية دول الاتحاد الأوروبي في 2023/12/11، الدمار اللاحق بالأبنية في غزة بأنه "أكبر من الدمار الذي لحق بالمدن الألمانية إبان الحرب العالمية الثانية، إذا ما تم تقديره نسبياً".[19]

وفي معطيات تفصيلية نشرتها صحيفة الغارديان، أظهرت الصور أن الأضرار في المباني، في المدة بين 2023/11/22-10/7، بلغت 47-59% في شمال غزة، و47-58% في مدينة غزة، و11-16% في دير البلح، و10-15% في خانيونس، و7-11% في رفح المنطقة الأقرب للحدود مع مصر. وهذا يصل إلى ما بين 67-88 ألف مبنى. ومن بين المباني التي دمّرتها "إسرائيل"؛ المحكمة الفلسطينية الرئيسية في غزة، المعروفة باسم قصر العدل، والمجلس التشريعي الفلسطيني، و339 منشأة تعليمية، و167 مكان عبادة. ونقل التقرير عن هوغ لوفات Hugh Lovatt، من المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية، تأكيده أن "إسرائيل تدمر بشكل مُتعَمّد ومنهجي المؤسسات المدنية والبنية التحتية التي ستكون ضرورية لحكم غزة وتحقيق الاستقرار فيها بعد الحرب".[20]

[18] John Paul Rathbone, "Military briefing: the Israeli bombs raining on Gaza," *Financial Times*, 6/12/2023.

[19] Gaza Destruction Worse Than In WWII Germany: EU's Borrell, site of Barron's, 11/12/2023, https://www.barrons.com/news/gaza-destruction-worse-than-in-wwii-germany-eu-s-borrell-a2c970bd, sited from Agence France Presse (AFP).

[20] Patrick Wintour, "Widespread destruction in Gaza puts concept of 'domicide' in focus," *The Guardian*, 7/12/2023.

ووفقاً لبيانات قدمت في 2023/12/13 في اجتماع "مجموعة المأوى – فلسطين – Shelter Cluster Palestine"، وهي هيئة مجموعة تضمّ منظمات الأمم المتحدة ومنظمات الإغاثة، أن 26% من الوحدات السكنية في شمال قطاع غزة دُمرت بالكامل، وتعرضت 62% أخرى لأضرار جزئية بمجموع 88%. وفي مدينة غزة نفسها، تمّ تدمير 16% من الوحدات السكنية بشكل كامل، وتعرضت 59% أخرى لأضرار جزئية، أي ما مجموعه 75%. وفي المناطق الوسطى، خانيونس ورفح، كانت الأرقام أقل، لكن ذلك كان قبل أن يزيد الجيش الإسرائيلي نشاطه هناك. وفي المجمل، إن نحو 70% من إجمالي الوحدات السكنية في قطاع غزة؛ نحو 305 آلاف وحدة سكنية من أصل نحو 439 ألفاً، تضررت كلياً أو جزئياً.[21]

وشدّد "المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان Euro-Med Human Rights Monitor"، ومقره جنيف، في بيان أصدره بالتزامن مع مرور 100 يوم على الحرب، في 2024/1/13، بأن "إسرائيل" تتعمّد تدمير وإلحاق أضراراً جسيمة بمرافق البنى التحتية في قطاع غزة. وقد جرى استهداف 320 مدرسة، و1,671 منشأة صناعية، و183 منشأة صحية بينها 23 مستشفى و59 عيادة و92 سيارة إسعاف، و239 مسجداً و3 كنائس، بالإضافة إلى 170 من المقرات الإعلامية.[22]

وفي حوادث ذات مغزى محدّد، ضمن محاولة طمس الوجود الديني والثقافي والتراثي، وإزالة الشواهد التاريخية والعمق التاريخي الفلسطيني في القطاع، جاء في بيانٍ أصدرته وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في

[21] ميرون رابوبورت، هل تنفذ إسرائيل عملية دوميساید في غزة؟، موقع مكوميت، 2023/12/31، انظر:
https://www.mekomit.co.il (باللغة العبرية)
(מירון רפופורט، האם ישראל מבצעת דומיסייד בעזה?، מקומית)

[22] On 100th day of Gaza genocide: 100,000 Palestinians killed, missing or wounded, site of Euro-Med Human Rights Monitor, 13/1/2014, https://euromedmonitor.org/en/article/6093/On-100th-day-of-Gaza-genocide:-100,000-Palestinians-killed,-missing-or-wounded

غزة، في 2024/1/21: "إن جيش الاحتلال الإسرائيلي دمّر بشكل كلي وجزئي نحو 1,000 مسجد من أصل 1,200 مسجد، بينها المساجد الأثرية، كما دمر عشرات المقابر".[23]

تخريب البيئة في قطاع غزة كجزء من "إبادة المكان":

نُشرت تحذيرات متعددة حول تبعات القصف الإسرائيلي على بيئة قطاع غزة، ومن ثم عليه ككل، نظراً للعلاقة الوثيقة بين البيئة والأرض وما عليها. وركزت هذه التحذيرات على الآثار المديدة لتخريب البيئة، سواء من حيث المكونات الطبيعية أم من حيث مفاعيلها على حياة السكان، ويُفهم من تحري هذه الآثار أن تدمير البيئة في قطاع غزة ينتمي إلى "إبادة المكان".

ومن التقديرات التي نُشرت، في صحيفة الغارديان في 2024/1/9، أن للانبعاثات من حرب "إسرائيل" في غزة تأثيراً هائلاً على كارثة المناخ، حيث كانت التكلفة المناخية في أول 60 يوماً من أعمال "إسرائيل" العسكرية تعادل حرق ما لا يقل عن 150 ألف طن من الفحم، وهو ما يسبب معاناة غير مسبوقة، وتلفاً للبنية التحتية وكارثة بيئية. ونقلت الصحيفة عن البروفيسور بنيامين نايمارك Benjamin Neimark، المحاضر في جامعة لندن، تأكيده أن انبعاثات الكربون الضخمة والملوثات السامة الأوسع ستبقى بعد فترة طويلة بعد انتهاء القتال، حيث أصبح الوضع البيئي في قطاع غزة كارثياً عبر تدمير أو تلوث البنية التحتية للمياه والطاقة والمياه، مع وجود آثار صحية مدمّرة ستظل على الأرجح لعقود قادمة. كما نقلت الصحيفة عن زينة الآغا، وهي محللة السياسات في شبكة السياسة الفلسطينية، قولها: "لن تتلاشى تبعات الهجوم الجوي الكارثي على غزة

[23] تقرير: أوقاف غزة: الاحتلال دمّر ألف مسجد وعشرات المقابر واغتال أكثر من مائة داعية، موقع المركز الفلسطيني للإعلام، 2024/1/21، في: https://palinfo.com/news/2024/01/21/873100

عندما يأتي وقف إطلاق النار، بل ستستمر المخلفات العسكرية في التربة والأرض والبحر، بالإضافة إلى جثث الفلسطينيين، تماماً كما هو الحال في سياقات ما بعد الحرب الأخرى في العراق مثلاً".[24]

وسُجّل اعتداء آخر في مجال "إبادة المكان" ممثلاً بقيام الجيش الإسرائيلي بغمر العديد من أنفاق القطاع بمياه البحر، وهو اعتداء خطير جداً، يرجع في قسم منه إلى امتداد شبكة الأنفاق على مساحات واسعة من القطاع، ففي تقرير بصحيفة النيويورك تايمز في 2024/1/16، نقلاً عن مسؤولين إسرائيليين، تتراوح هذه الشبكة بين 350 و450 ميلاً (560 إلى 720 كم)، وهي أرقام غير عادية إذا ما قيست بالمساحة الصغيرة لقطاع غزة.[25]

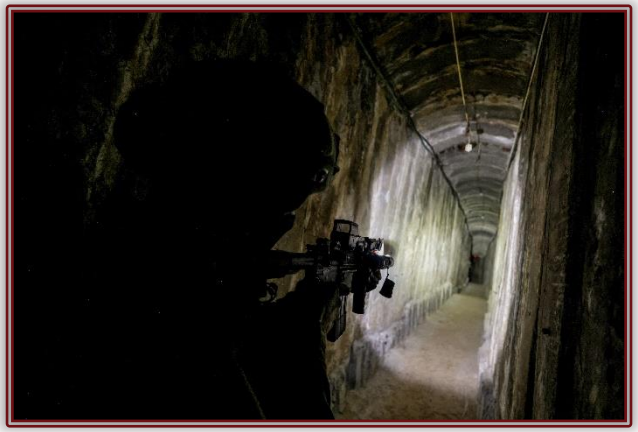

يدور الحديث هنا عن عملية ابتدأت كخطة، ثم انتقلت إلى حيّز التنفيذ العملي. فقد ذكرت صحيفة وول ستريت جورنال في 2023/12/4، أن "إسرائيل" تدرس خطة لإغراق أنفاق غزة بمياه البحر، وأن الجيش الإسرائيلي انتهى من تجميع 5 مضخات كبيرة للمياه على بعد ميل تقريباً (نحو 1.6 كم)، شمال مخيم الشاطئ للاجئين، ويمكنها نقل آلاف الأمتار المكعبة من المياه في الساعة إلى الأنفاق، مما يؤدي إلى إغراقها في غضون أسابيع.[26]

وبعد ذلك بأيام، أكد خبر صحفي إسرائيلي أن الجيش الإسرائيلي أجرى تجارب اختبارية، وصفها بأنها ناجحة، لإغراق الأنفاق.[27]

---

[24] Nina Lakhani, Emissions from Israel's war in Gaza have 'immense' effect on climate catastrophe, *The Guardian*, 9/1/2024, https://www.theguardian.com/world/2024/jan/09/emissions-gaza-israel-hamas-war-climate-change

[25] Adam Goldman, Ronen Bergman, Patrick Kingsley and Gal Koplewitz, Israel Unearths More of a Subterranean Fortress Under Gaza, *The New York Times*, 16/1/2024, https://www.nytimes.com/2024/01/16/us/politics/israel-gaza-tunnels.html

[26] Nancy A. Youssef, Warren P. Strobel, Gordon Lubold, Israel Weighs Plan to Flood Gaza Tunnels With Seawater, *The Wall Street Journal*, 4/12/2024, https://www.wsj.com/world/middle-east/israel-weighs-plan-to-flood-gaza-tunnels-with-seawater-a375dd0b

[27] روعي شارون، إغراق أنفاق الإرهاب في غزة: أجرى الجيش الإسرائيلي "تجربة" ناجحة في عدة أنفاق، شبكة كان، 2023/12/14، في: https://www.kan.org.il/content/kan-news/defense/655340 (باللغة العبرية)

ثم توالت معلومات عن قيام الجيش الإسرائيلي بانتقاء بعض الأنفاق لغمرها، بشكل يتلاءم مع عملياته العسكرية. وأكّد الجيش، في بيان صدر عنه في 2024/1/30، محاولته إغراق أنفاق بواسطة "ضخّ مياه بتدفق عال" فيها، كجزء من مجموعة متنوعة من الأدوات التي يمتلكها للتعامل مع الأنفاق.

وزعم الجيش أن هذه الأداة تعدّ طفرة هندسية وتكنولوجية كبيرة في التعامل مع التحدي تحت الأرضي. وبالتزامن مع ذلك، قال تساحي هنغبي Tzachi Hanegbi، رئيس مجلس الأمن القومي، في مناقشة مغلقة بلجنة الخارجية والأمن في الكنيست Knesset: "إن تدمير مترو الأنفاق بالكامل في غزة لن يحدث إلا في المرحلة التي تلي القضاء على حماس"،[28] على حدِّ زعمه.

وقد لوحظ أنه منذ بداية نشر المعلومات عن إغراق الأنفاق في قطاع غزة، انبرت جهات متعددة للتعليق على هذا العمل وبيان مدى خطورته. ومن الشهادات المهمة في هذا الخصوص، توصيفات لخبراء هيدرولوجيين أوردتها صحيفة الغارديان في 2023/12/23، تُجمع على أن إغراق شبكة الأنفاق بمياه البحر قد يؤدي إلى تدمير الظروف الأساسية للحياة في قطاع غزة، وهو أحد عناصر جريمة الإبادة الجماعية. فقد شبّه المقرر

(רועי שרון، הצפת מנהרות הטרור בעזה: צה"ל ערך "פיילוט" מוצלח בכמה מנהרות)

[28] نير دفوري، الجيش الإسرائيلي يكشف عن "برنامج أطلانطس": ضخ المياه "بمعدل مرتفع" إلى أنفاق حماس خلال الحرب، موقع القناة 12، 2024/1/30، في: https://www.mako.co.il/news-military/2024_q1/Article-d73b817f41b5d81027.htm (باللغة العبرية)

(ניר דבורי، צה"ל חושף את "תכנית אטלנטיס": הוזרמו מים ב"ספיקה גבוהה" למנהרות חמאס במהלך המלחמה)

الخاص للأمم المتحدة المعني بالحق في المياه بيدرو أروجو أجودو Pedro Arrojo-Agudo ، الأمر بأسطورة تمليح الرومان لحقول قرطاج لجعل أراضي منافسهم القديم غير صالحة للسكن. وقال مقرر حقوق الإنسان والبيئة ديفيد بويد David Boyd: "إن الإضرار بمصدر المياه الوحيد في غزة سيكون كارثياً على البيئة وحقوق الإنسان". وطبقاً لدراسة أجرتها "الأكاديمية العسكرية الأمريكية ويست بوينت The US Military Academy West Point"؛ إن الأنفاق ستحتاج 1.5 مليون متر مكعب من المياه لملئها بالكامل. وقال مارك زيتون Mark Zeitoun، مدير مركز جنيف للمياه والأستاذ في معهد جنيف للدراسات العليا:

> إن مياه البحر التي يجري ضخها في مئات الكيلومترات من الأنفاق التي تتقاطع مع التربة الرملية المسامية في غزة ستتسرب حتماً إلى طبقة المياه الجوفية التي يعتمد عليها سكان القطاع، وستحوّل المورد الضعيف إلى مصدر كارثي، وسيؤدي ذلك إلى تدمير الظروف المعيشية للجميع في قطاع غزة، وأعتقد أن هذا أحد عناصر الإبادة الجماعية ضمن اتفاقية الأمم المتحدة، أي التدمير المادي الجزئي أو الكامل للظروف الضرورية لحياة أي شعب.

وحذّر ويم زوينينبرغ Wim Zwijnenburg، الباحث في منظمة باكس من أجل السلام الهولندية غير الحكومية Dutch NGO Pax for Peace، الذي يبحث في الآثار البيئية للحرب، من أن "غمر الأنفاق سيشكل مخاطر على سلامة الأرض التي بنيت عليها مجتمعات قطاع غزة، المنطقة الأكثر كثافة سكانية في العالم، وإذا انهارت تحت المناطق المبنية، فقد يؤدي ذلك إلى سقوط المباني المتبقية فوقها أيضاً".[29]

وفصَّل تحقيق بمجلة "الحكم المسؤول Responsible statecraft" الإلكترونية التابعة لمعهد كوينسي Quincy Institute الأمريكي في 2024/1/13، "كيف تجعل الحرب الإسرائيلية قطاع غزة غير صالح للعيش على نحو متزايد لأجيال قادمة". ومما جاء فيه: "إن الاستراتيجية التي تتبناها إسرائيل حالياً لإغراق الأنفاق سوف تتسبب في أضرار لا يمكن إصلاحها، ويبدو أن هذا جزء

[29] Damien Gayle and Nina Lakhani, Flooding Hamas tunnels with seawater risks 'ruining basic life in Gaza', says expert, *The Guardian*, 23/12/2023, https://www.theguardian.com/world/2023/dec/23/israel-flooding-hamas-tunnels-eawater-risks-ruining-basic-life-gaza-expert

من هدف إسرائيلي أوسع من تفكيك قدرات حماس العسكرية، يشمل زيادة تدهور وتدمير طبقات المياه الجوفية في غزة". ويسوق التقرير اعتراف مسؤولين إسرائيليين علناً بأن هدفهم هو ضمان أن تصبح غزة مكاناً غير صالح للعيش بمجرد إنهاء حملتهم العسكرية. ولبيان خطورة الأمر، ينقل التقرير عن المهندس عبد الرحمن التميمي، مدير مجموعة الهيدرولوجيين الفلسطينيين، توضيحه بأن غمر الأنفاق بالمياه الجوفية الملوثة سيتسبب في تراكم الأملاح وانهيار التربة، مما يؤدي إلى هدم آلاف المنازل الفلسطينية في القطاع المكتظ بالسكان، وسيصبح قطاع غزة منطقة خالية من السكان، وسوف يستغرق الأمر نحو 100 عام للتخلص من الآثار البيئية لهذه الحرب، وبعبارة أخرى، وفق التميمي، إن "إسرائيل" الآن تقتل البيئة.[30]

وخلال جلسة لمجلس الأمن Security Council في 2024/1/13، صنّف مندوب روسيا الدائم لدى الأمم المتحدة فاسيلي نيبينزيا Vasily Nebenzya، إغراق الأنفاق في قطاع غزة بأنه أحد عناصر الإبادة الجماعية، مبيناً أن عواقب تلك العملية "ستبقى قائمة لمدة قرون، وأنها تهدد بكارثة بيئية واسعة، وستجعل أرض القطاع غير صالحة للعيش فيها عملياً".[31]

يضاف إلى هذه العوامل المدمرة لبيئة قطاع غزة، قيام "إسرائيل" بتسميمه من الأعلى، إذ تعرض مقاطع الفيديو التي حللتها منظمة العفو الدولية Amnesty International، وأكدتها صحيفة واشنطن بوست، لقطات من قنابل الفوسفور الأبيض التي تنهمر على المناطق

[30] Joshua Frank, The poisoning of Gaza — from above and underground, site of Responsible Statecraft, 13/1/2024, https://responsiblestatecraft.org/gaza-environment

[31] تقرير: نيبينزيا: إغراق الأنفاق في غزة قد يشكل عمل إبادة جماعية، موقع روسيا اليوم، 2024/1/13، انظر: https://arabic.rt.com، نقلاً عن وكالة تاس.

الحضرية المكتظة بالسكان، وهي مادة بالإضافة إلى سُمِّيَّتها الشديدة للإنسان، إلا أن تركيزات كبيرة منها لها أيضاً الآثار الضارة ذاتها على النباتات والحيوانات، ويمكن أن تخرب تكوين التربة، كأن تجعلها حمضية للغاية وضارة بزراعة المحاصيل.[32]

ادعاءات إسرائيلية واهية مدحوضة:

في كل الحالات التي سُئل فيها المسؤولون الإسرائيليون عن سبب كل هذا الدمار لقطاع غزة، كانت تعليلاتهم أن الأمر ناجم عن اختباء حماس، المقاومة، وراء الأهداف التي قُصفت، ورفضها الاستسلام. وكمثال، زعم المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي دانيال هغاري Daniel Hagari דניאל הגרי أنه:

> كجزء من تدمير القدرات العسكرية لحماس، تنشأ حاجة عملياتية، لتدمير أو مهاجمة المباني التي تضع فيها المنظمة (الإرهابية) البنية التحتية القتالية، وهذا يشمل أيضاً المباني التي حولتها حماس بانتظام لأغراض قتالية، مثل المباني التي يتم فيها حفر الأنفاق، كجزء من الشبكة العسكرية المتفرعة تحت الأرض، وفي الوقت نفسه، تستخدم حماس عسكرياً بشكل منهجي المباني العامة التي من المفترض أن تستخدم لأغراض مدنية، بما في ذلك المباني الحكومية والمؤسسات التعليمية والمؤسسات الطبية والمباني الدينية.[33]

وعلى منوال هذه المزاعم، يستبعد اللواء الاحتياط يائير جولان Yair Golan יאיר גולן أن تكون الفكرة الرئيسية الإسرائيلية هي تدمير أكبر عدد ممكن من المنازل، حتى لا يكون لديهم مكان يعودون إليه. وعزا جولان التدمير الواسع في القطاع إلى أن "الجيش الإسرائيلي لم يتدرب كثيراً في السنوات الأخيرة، وسيطرت عليه ثقافة إطلاق النار لأنها ممكنة، وجاء الدمار في غزة نتيجة الموقف اللا مبالي؛ هذا هو الوضع، أنتم (حماس) جلبتموه على أنفسكم، وهذه هي النتائج". ومن الحوادث التي تفضح تلك المزاعم، كان التدمير يهدف أيضاً إلى "تشكيل" المشهد الطبيعي في غزة ليتناسب مع خطط الجيش. فمثلاً، قام الجيش بتفجير

[32] Joshua Frank, The poisoning of Gaza — from above and underground, Responsible Statecraft, 13/1/2024.

[33] ميرون رابوبورت، هل تنفذ إسرائيل عملية دوميساید في غزة؟، موقع مكوميت، 2023/12/31. (باللغة العبرية)

56 منزلاً في الشجاعية، وقال قائد اللواء في وثيقة منشورة: "اللواء 828 يودّع الشجاعية، وهنا يبدأ النصر. هنا حي المرحوم الشجاعية. ستستمتعون (مخاطباً مستوطني غلاف غزة) بإطلالة على البحر".[34]

تكشف هذه التصريحات والأعمال ومثيلاتها عن قصدٍ عنيد لإدخال تغيير جذري على معالم قطاع غزة، من قبل "الجيش الأكثر أخلاقية في العالم"!! الذي لا يكتفي بالقتل والتدمير، بل يرقص المنتسبون إليه أيضاً على الدم والركام، ويحتفلون بما يقومون به.

وصار من الواضح، لدى قراءة المشهد العام عن حجم الدمار الذي ألحقه العدوان الإسرائيلي بقطاع غزة، وأن القطاع يتعرض إلى حالة من "إبادة المكان"، من ناحية قابلية القطاع لتلبية متطلبات الحياة العادية لسكانه. وهي حالة تُنبئ عنها المفردات العبرية الشائعة المستخدمة في التصريحات والتقارير الصحفية، والتي يتعذر عملياً الإحاطة التامة بها، وتكفي للدلالة على المطلوب إسرائيلياً، كلمات مثل: הרס تدمير – השמדת إبادة – מחק محو – לסלק إزالة – משטח تسطيح، وسواها. وهي مفردات مناسبة لتعرية طبيعة الهدف الإسرائيلي النهائي لمستقبل قطاع غزة، المتمثل بجعله غير صالح للسكن، بالتكامل مع مواصلة تهجير سكانه. وثمة شهادات كثيرة عرضت في هذا الإطار؛ لقد أفاد عشرات الممثلين عن الأمم المتحدة، بأن "حجم الدمار في المنازل والمستشفيات والمدارس والمساجد والمخابز والبنى التحتية والمجاري والكهرباء وسواها، يجعل استمرار الوجود الفلسطيني في غزة أمراً مستحيلاً".[35]

[34] المرجع نفسه.

[35] يوعنا غونين، الكارثة المستمرة في غزة حقيقية، إليكم صورة الواقع، موقع صحيفة هآرتس، 2024/1/9، في:
https://www.haaretz.co.il/opinions/2024-01-09/ty-article-opinion/.highlight/0000018c-ea18-d0e9-a3de-fedd2ecf0000 (باللغة العبرية)
(יוענה גונן، האסון המתגלגל בעזה ממשי להפליא. הנה גרסת המציאות)

وقال المتحدث باسم وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) United Nations Relief and Works Agency for Palestine Refugees in the Near East (UNRWA) عدنان أبو حسنة، في حوار أجراه معه موقع أخبار الأمم المتحدة: "يجري تحويل القطاع لمكان غير صالح للعيش".[36]

وذكر تقرير مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة UN Human Rights Council في 2024/1/11، أن المنازل والبنية التحتية في قطاع غزة دمّرت تماماً، وأنه لم يبقَ أي أمل للفلسطينيين في العودة إلى ديارهم، وهذا تكرار لتصرفات "إسرائيل" التاريخية فيما يتعلق بتهجير الفلسطينيين من منازلهم.[37]

وصرّحت مقررة الأمم المتحدة الخاصة المستقلة المعنية بحالة حقوق الإنسان في الأرض الفلسطينية المحتلة، فرانشيسكا ألبانيز Francesca Albanese، لصحيفة هآرتس في 2024/1/14، أنّ "إسرائيل تخلق ظروفاً تجعل الحياة مستحيلة في غزة".[38]

حتى في الجانب الإسرائيلي، هناك من اعترف بأن سلوك الجيش يوجد الانطباع بأن التدمير المتعمَّد لمدينة غزة ومحيطها هو في الواقع أحد الأهداف غير المكتوبة للعملية في غزة، ولا يقتصر الأمر على الدمار الناتج عن القنابل التي تهدف إلى "تليين" الأهداف قبل دخول القوات البرية إليها أو الدمار

---

[36] باسل مغربي، أونروا غزة تتحول إلى مكان غير صالح للعيش، موقع عرب ٤٨، 2024/1/9، انظر: https://www.arab48.com

[37] روعي روبنشتاين ونداف إيال وإيتمار أيخنر، اتهمت جنوب أفريقيا بالمحكمة في لاهاي: "الدمار في غزة هو احتفالية للجيش الإسرائيلي.."، واينت، 2024/1/11، في: https://www.ynet.co.il/news/article/r1mlmep00t#autoplay (باللغة العبرية)
(רועי רובינשטיין, נדב איל, איתמר אייכנר, דרום אפריקה האשימה בבית הדין בהאג: "ההרס בעזה הוא חגיגה לצה"ל.."، ידיעות אחרונות)

[38] تقرير: الأمم المتحدة: إسرائيل جعلت الحياة "غير ممكنة" في غزة، موقع نتسيف نت، 2024/1/15، في: https://nziv.net/101505 (باللغة العبرية)
(האו"ם: ישראל הפכה את החיים ל"בלתי אפשריים" בעזה)

الذي يحدث في أثناء المعركة. بل واصل الجيش عمليات تدمير مكثفة حتى بعد إعلان "السيطرة العملياتية" على مناطق مختلفة في شمالي القطاع.[39]

دعوات إسرائيلية صريحة تجعل التدمير في خدمة التهجير:

بالترافق مع الحرب على قطاع غزة، نشطت في الأوساط الإسرائيلية المختلفة، الحكومية والحزبية والإعلامية والعامة، دعوات لترحيل سكان القطاع، تارة بشكل صريح وأخرى عبر تسمية "الهجرة الطوعية" التي تأتي عملياً جراء ممارسات الاحتلال فتغدو بالحقيقة قسرية.

وإلى جانب الخطط التي وضعتها جهات إسرائيلية متعددة، انفلتت التصريحات التي تشدِّد على ضرورة البقاء الإسرائيلي في قطاع غزة ومنع عودة سكان المناطق الشمالية والوسطى التي هُجّروا منها، مع دعوات للترانسفير وللاستيطان الإسرائيلي في القطاع.

على هذه الخلفية يتعيّن أن توضع عمليات التدمير الإسرائيلي في القطاع، حيث يبدو واضحاً أنه لا مجال للتفكير ببقاء مناطق صالحة لعودة سكانها. وبتعبيرات ألوف بن Aluf Benn אלוף בן، رئيس تحرير صحيفة هآرتس: "إلى أين سيعودون؟ لن تكون لديهم منازل ولا شوارع ولا مؤسسات تعليمية ولا متاجر، ولا أي من البنى التحتية الأخرى في مدينة عصرية".[40]

اتصالاً بهذه النتيجة، غدت دعوات القضاء على قطاع غزة بمثابة "فولكلور أو موضة" في الأوساط الإسرائيلية. ولما كان من الصعب إحصاء هذه الدعوات، في هذا الحيز الدراسي المحدود، فإن إيراد بعض العناوين والخلاصات المتعلقة بذلك يكشف عن ارتباط التدمير بالتهجير، وهذه بضعة أمثلة:

---

[39] ميرون رابوبورت، هل تنفذ إسرائيل عملية دوميساید في غزة؟، موقع مكوميت، 2023/12/31. (باللغة العبرية)

[40] ألوف بن، احتلال مدينة غزة والتهجير المؤقت لسكانها هما كاسر التعادل بالنسبة لإسرائيل، هآرتس، 2023/11/13، في: https://www.haaretz.co.il/news/politics/2023-11-09/ty-article/.premium/0000018b-af67-df42-a78f-af67bf140000 (باللغة العبرية)

(אלוף בן، כיבוש העיר עזה והגירוש הזמני של תושביה הם שובר השוויון של ישראל)

- توجّه رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو إلى زعماء في العالم، وطلب منهم إقناع الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي باستيعاب اللاجئين من غزة في مقابل شطب ديون مصر لدى البنك الدولي.[41]

- نشر موقع "مكيموت Mekomit" في 2023/10/28، نصّ وثيقة لوزارة المخابرات الإسرائيلية، مؤرخة في 2023/10/13، توصي بالترحيل القسري لسكان قطاع غزة إلى سيناء بشكل دائم، وتدعو إلى تسخير المجتمع الدولي للتحرك، وتقترح الترويج لحملة مخصصة لسكان غزة من شأنها تحفيزهم على الموافقة على الخطة.[42]

- كتب الحاخام ميخائيل فوآه Michael Pua **מיכאל פואה**، مدير حركة "قيادة يهودية Jewish Leadership" **מנהיגות יהודית**: "يجب تقويض غزة، ويجب طرد السكان الذين نما من داخلهم الوحش المسمى حماس... المال الذي وُظّف في إخلاء غوش قطيف، كان يمكن أن يوظَّف في تشجيع عائلات غزة على الهجرة إلى أماكن كثيرة في العالم تريد استقبالها".[43]

- قال ما يسمى وزير التراث الإسرائيلي عميحاي إلياهو Amichai Eliyahu **עמיחי אליהו**، في مقابلة مع إذاعة كول باراما Kol Barama في 2023/11/5، عن إسقاط القنبلة الذرية على

---

[41] إيتمار أيخنر، اقتراح إسرائيلي جديد: مصر ستستقبل اللاجئين، وسيتم شطب ديونها للبنك الدولي، واينت، 2023/10/31، في: https://www.ynet.co.il/news/article/hjiyigczt (باللغة العبرية)
(איתמר אייכנר، הצעה ישראלית חדשה: מצרים תקלוט פליטים - ויימחק לה חוב בבנק העולמי)

[42] يوفال أبراهام، ورقة سياسات: بدائل التوجيه السياسي للسكان المدنيين في غزة، الوثيقة الكاملة لوزارة المخابرات: احتلال غزة ونقل كامل لسكانها، موقع مكيموت، 2023/10/28، انظر: https://www.mekomit.co.il (باللغة العبرية)
(נייר מדיניות: חלופות לדירקטיבה מדינית לאוכלוסייה האזרחית בעזה، משרד המודיעין)

[43] ميخائيل فوآه، لتقويض غزة.. يجب أن تنهار غزة، ويجب طرد السكان الذين نشأ منهم هذا الوحش المسمى حماس، موقع القناة 7 "عروتس شيفع"، 2023/10/29، في: https://www.inn.co.il/news/618272 (باللغة العبرية)
(מיכאל פואה, למוטט את עזה - את עזה צריך למוטט, ואת האוכלוסייה שממנה צמחה המפלצת הזו ששמה חמאס, צריך לגרש)

غزة: "هذا أحد الاحتمالات". وأضاف: "لا مكان لقطاع غزة". وعن المواطنين الفلسطينيين قال: "فليذهبوا إلى إيرلندا أو إلى الصحارى، وليتولّ الوحوش في غزة مهمة الحل بأنفسهم".[44]

- اقترح عضوا الكنيست رام بن باراك Ram Ben-Barak، من حزب يش عتيد Yesh Atid = يوجد مستقبل، ودايي دانون Danny Danon، من حزب الليكود Likud، في مقال مشترك في صحيفة وول ستريت جورنال في 2023/11/13، "مبادرة للإخلاء الطوعي لعرب غزة إلى دول العالم"، وطلبا من الغرب أن يرحب بلاجئي غزة، فأوروبا وأمريكا استقبلت الملايين الذين فرّوا من الحروب السابقة.[45]

- قال نائب رئيس الكنيست وعضو لجنة الخارجية والأمن عضو الكنيست نيسيم فاتوري Nissim Vaturi ניסים ואטורי، من حزب الليكود، في حديث لإذاعة الشمال Radio North في 2023/11/28:

"يجب إجلاء سكان غزة باتجاه الغرب، ووضع السفن هناك وأخذهم، وإرسالهم إلى البلدان التي تريد استقبالهم... أنا على استعداد لوضعهم على متن السفن، للمغادرة".[46]

---

[44] الوزير إلياهو عن إسقاط القنبلة الذرية على غزة: "هذا أحد الاحتمالات"، موقع كول باراما، 2023/11/5، انظر: https://kol-barama.co.il (باللغة العبرية)

(השר אליהו על הטלת פצצת אטום על עזה: "זאת אחת האפשרויות". קול-ברמה)

[45] Danny Danon and Ram Ben-Barak, The West Should Welcome Gaza Refugees, Europe and the U.S. accepted millions who fled earlier wars, *The Wall Street Journal*, 13/11/2023, https://www.wsj.com/articles/the-west-should-welcome-gaza-refugees-asylum-seekers-hamas-terrorism-displacement-5d2b5890?mod=article_inline

[46] أريك فرهاد، عضو كنيست من الليكود: "النقل الطوعي لسكان غزة والضفة هو لمصلحتهم ويجب علينا طردهم"، موقع صحيفة معاريف، 2023/11/28، في: https://www.maariv.co.il/news/politics/Article-1055553 (باللغة العبرية)

(אריק ברחד, ח"כ מהליכוד: "טרנספר מרצון לתושבי עזה ויו"ש זה לטובתם, צריך להעיף אותם")

وفي تصريح آخر، دعا فاتوري إلى محو قطاع غزة من على وجه الأرض. وظهر في مقطع على يوتيوب YouTube في 2023/12/26، بالصوت والصورة يقول فيه: "**לשרוף את עזה** يجب حرق غزة".[47]

- ذكر تقرير لموقع "ذا تايمز أوف إسرائيل The Times of Israel" في 2024/1/3، أن رئيس الحكومة نتنياهو أعلن في جلسة لحزب الليكود أنه يعمل على الدفع بفكرة الهجرة الطوعية لسكان غزة إلى دول أخرى. وقالت وزيرة الاستخبارات غيلا جملئيل Gila Gamliel: "يجب عدم إبقاء السكان في قطاع غزة، لأنهم يتربون على الكراهية المستمرة لإسرائيل". وقال مسؤول كبير في الكابينيت Cabinet، المجلس الوزاري السياسي الأمني المصغر: "ستكون الكونغو على استعداد لاستقبال مهاجرين، ونحن نجري مفاوضات مع دول أخرى". وكشف التقرير، أن كل وزراء حزبيْ "الصهيونية الدينية Religious Zionism" و"عوتسما يهوديت Otzma Yehudit" يدعمون برنامج الهجرة الطوعية لسكان قطاع غزة ويروّجون له، واليوم هناك وزراء وأعضاء كنيست في الليكود راحوا يروّجون لفكرة "الترانسفير = الترحيل".[48]

- في مؤتمر "اللوبي لتعزيز وعي النصر الإسرائيلي **השדולה לחיזוק תודעת הניצחון הישראלי**" الذي عقد في الكنيست في 2024/1/3، قال عضو الكنيست تسفي سوكوت Zvi Sukkot **צבי סוכות**، من الصهيونية الدينية: "يجب علينا أولاً الاحتلال والضم وتدمير كل البيوت هناك وبناء أحياء كبيرة ومستوطنات كبيرة تسمى على أسماء أبطال الشعب الذين قاتلوا هناك". وقال عضو الكنيست أوهاد طال Ohad Tal **אוהד טל**، من الصهيونية الدينية: "هدف

---

[47] تصريح فاتوري ضمن تقرير: روعي روبنشتاين ونداف إيال وإيتمار أيخنر، اتهمت جنوب أفريقيا بالمحكمة في لاهاي: "الدمار في غزة هو احتفالية للجيش الإسرائيلي..."، يديعوت أحرونوت، 2024/1/11، انظر موقع يوتيوب، في: https://www.youtube.com/watch?v=_03-nwRpEz4

[48] شالوم يروشاليمي، اتصالات مع الكونغو لاستقبال آلاف من ما يسمى "الهجرة الطوعية" من غزة، موقع "تايمز أوف إسرائيل"، 2024/1/3، انظر: https://ar.timesofisrael.com

الحرب هو السيطرة الكاملة على قطاع غزة، غزة كانت جزءاً من دولة إسرائيل، ويجب أن تعود لتكون جزءاً من أرض دولة إسرائيل".[49]

- قال وزير المالية، رئيس حزب الصهيونية الدينية، بتسلئيل سموتريتش Bezalel Smotrich **בצלאל סמוטריץ'**: "بالإضافة إلى تشجيع الهجرة، ستسيطر إسرائيل بشكل دائم على أراضي قطاع غزة لضمان الأمن". وقال وزير الأمن القومي إيتمار بن جفير Itamar Ben-Gvir **איתמר בן גביר**، رئيس حزب عوتسما يهوديت = قوة يهودية: "سنفعل ما هو الأفضل لدولة إسرائيل؛ يجب علينا تعزيز الترويج لحل لتشجيع هجرة سكان غزة".[50]

- دعت السفيرة الإسرائيلية لدى المملكة المتحدة تسيبي هوتوفلي Tzipi Hotovely **ציפי חוטובלי**، إلى تدمير كل مبنى في غزة، خلال برنامج إذاعي في 2024/1/4. وتساءلت: "هل لديكم حل آخر؟".[51]

---

[49] نوعا شبيغل، في الكنيست لم يعودوا يُخفون: الهدف هو هجرة الفلسطينيين من قطاع غزة واستيطان اليهود فيه، هآرتس، 2024/1/3، في: https://www.haaretz.co.il/news/politics/2024-01-03/ty-article/.premium/0000018c-ce7b-d266-a9bf-effb0e200000 (باللغة العبرية)

(נעה שפיגל, בכנסת כבר לא מסתירים: המטרה היא הגירת פלסטינים מהרצועה ויישובה ביהודים)

[50] دانيال أديلسون وإيتمار أيخنر، دعا بن غفير وسموترتش إلى تشجيع الهجرة من غزة، واينت، 2024/1/3، في: https://www.ynet.co.il/news/article/syentxmo6 (باللغة العبرية)

(דניאל אדלסון, ניו יורק, איתמר אייכנר, בן גביר וסמוטריץ' קראו לעודד הגירה מעזה, ידיעות אחרונות)

[51] Israeli ambassador to UK calls for the destruction of every building in Gaza, site of Middle East Eye, 4/1/2024, https://www.middleeasteye.net/live-blog/live-blog-update/israeli-ambassador-uk-calls-destruction-every-school-and-mosque-gaza

- قال عضو الكنيست من "عوتسما يهوديت" يتسحاق كروزر Yitzhak Kroizer: "يجب هدم القطاع بأكمله والحكم بالإعدام على كل من فيه".[52]
- قال الصحفي ومقدم البرامج عيدان ماراش Idan Marash: "يجب أن تكون غزة كومة خراب".[53]
- جاء في مقال لجيورا إيلاند Giora Eiland، لواء احتياط رئيس مجلس الأمن القومي الإسرائيلي الأسبق: "ليس أمام دولة إسرائيل خيار سوى جعل غزة مكاناً يستحيل العيش فيه".[54]
- من بين السياسيين والشخصيات العامة، من اليمين وسواه، الذين جعلوا من تدمير مدينة غزة أحد أهداف الحرب؛ اقترح عضو الكنيست تسفي فوغل Tzvika Foghel ח"כ צבי פוגל من حزب "عوتسما يهوديت= قوة يهودية" "تحويل شمال قطاع غزة بأكمله إلى منطقة استيطان يهودية". ووصف اليميني يوآف سوريك Yoav Sorek יואב שורק على موقع "هاشيلواح Hashiloach השילוח" كيف سيبدو شمال قطاع غزة في سنة 2027: "كان لا بدّ من محو غزة". وباعتقاد سوريك؛ الشيء الوحيد الذي سيبقى منها هو متحف في ذكرى النكبة التي ستقام على أنقاض مخيم جباليا للاجئين. واقترح رجل الأعمال أورين دوبرونسكي Oren Dobronsky אורן דוברונסקי، نجم برنامج الواقع "هكريشيم The Sharks הכרישים"، "تدمير غزة من الألف إلى الياء، وتحويلها إلى أشهر موقف سيارات في العالم".[55]

---

[52] تقرير: قبل جلسات الاستماع حول الإبادة الجماعية في لاهاي نائب إسرائيلي يكرر دعوته إلى حرق غزة، موقع "تايمز أوف إسرائيل"، 2014/1/7، انظر: https://ar.timesofisrael.com

[53] عيدان ماراش، ليس لدينا خيار سوى النصر: لا يمكنك ممارسة الدبلوماسية مع منظمة إرهابية، معاريف، 2024/1/9، في: https://www.maariv.co.il/journalists/opinions/Article-1066357 (باللغة العبرية)
(עידן מאראש، אין לנו אפשרות חוץ מניצחון: עם ארגון טרור לא עושים דיפלומטיה)

[54] جيورا إيلاند، هذا ليس انتقاماً.. إما نحن أو هم، واينت، 2023/10/11، في:
https://www.ynet.co.il/yedioth/article/yokra13625377 (باللغة العبرية)
(גיורא איילנד، זו לא נקמה. זה או אנחנו או הם، ידיעות אחרונות)

[55] ميرون رابوبورت، هل تنفذ إسرائيل عملية دوميساید في غزة؟، موقع مكوميت، 2023/12/31. (باللغة العبرية)

- في 2024/1/28 عُقد في ما يسمى "مباني الأمة The Nation's Buildings" بالقدس الغربية المحتلة، مؤتمر "العودة إلى غزة **החזרה לעזה**"، بمشاركة 12 وزيراً و15 عضو كنيست، من الائتلاف الحكومي، وبحضور آلاف الأشخاص، نظّمه ائتلاف منظمات من أجل الاستيطان في قطاع غزة، تحت شعار "الاستيطان يحقق الأمن والنصر"، تمّ فيه توقيع "وثيقة إعادة الاستيطان الإسرائيلي في قطاع غزة"، وكان الموضوع الرئيسي الثاني فيه هو الترانسفير لسكان قطاع غزة.[56]

تدمير المباني خلال الحرب في المنظور القانوني:

تحظر المادة 53 من اتفاقية جنيف الرابعة Geneva Convention IV، الموقَّعة سنة 1949، أي تدمير تقوم به دولة الاحتلال للممتلكات العقارية أو الشخصية المملوكة بشكل فردي أو جماعي لأشخاص عاديين، أو للدولة، أو للسلطات العامة الأخرى، أوالمنظمات الاجتماعية أو التعاونية.[57]

وبالانتقال إلى التطبيق، بدأت لمحات من قتل المناطق في الظهور في الأنظمة القانونية، بعد مأساة البلقان خلال التسعينيات، ووجهت المحكمة الجنائية الدولية International Criminal Court ليوغوسلافيا السابقة الاتهام إلى الرئيس الصربي سلوبودان ميلوسيفيتش Slobodan Milošević تهمة "التدمير المتعمَّد wanton destruction" للمواقع الدينية والمعالم الثقافية لأهل كوسوفو. وفي القضايا التي رفعتها المحكمة ضدّ

[56] جلعاد كوهين وموران أزولاي، "لتشجيع الهجرة" وتوقيع "معاهدة تحديد الاستيطان في غزة": المؤتمر مع كبار مسؤولي الائتلاف، واينت، 2024/1/28، في: https://www.ynet.co.il/news/article/bjxbswvqa#autoplay (باللغة العبرية)
(גלעד כהן, מורן אזולאי, לעודד הגירה" וחתימה על "אמנת חידוש ההתיישבות בעזה": הכנס עם בכירי הקואליציה, ידיעות אחרונות)

[57] Amritansh, "The Palestinian Experience of 'Domicide' and its impact on Human Rights in oPt," site of SSRN, 20/12/2023, https://ssrn.com/abstract=4657985

العديد من القادة العسكريين، أدمجت مفاهيم الإبادة الحضرية في قضايا الإبادة الجماعية – شقيقتها الأكبر والأقبح.[58]

ولجأت اللجنة الثالثة، وهي واحدة من ست لجان رئيسية في الجمعية العامة للأمم المتحدة United Nations General Assembly، تتعامل مع حقوق الإنسان والشؤون الإنسانية والشؤون الاجتماعية، إلى حثّ الدول على تصنيف جرائم قتل المنازل كجرائم حرب.[59]

وبالتوازي مع ذلك، راحت الأوساط الأكاديمية الدولية تحاول الترويج لنوع جديد من الجرائم ضدّ الإنسانية في القانون الدولي، وهو مفهوم كان موجوداً منذ عقود ولكن لم يتم الاعتراف به رسمياً في القانون الدولي، وهو "دوميسايد" الذي يصف التدمير المتعمَّد للبنية التحتية المدنية في منطقة معينة، من أجل جعل المنطقة غير صالحة للسكن والاستيطان، ومن ثم إجبار سكانها على الهجرة إلى مكان آخر، وإذا تمّ اعتماده في القانون الدولي سيعدّ جريمة حرب، تنطبق على الدول، أو جريمة ضدّ الإنسانية، تنطبق على الجميع.[60]

موقف المقرر الأممي راجاغوبال:

من المتعارف عليه دولياً أن "مقرر الأمم المتحدة الخاص المعني بالحق في السكن اللائق" بالاكريشنان راجاغوبال Balakrishnan Rajagopal، يأتي على رأس قائمة الشخصيات القانونية الدولية المرجعية في مسألة "إبادة المكان". وبصفته هذه، أعدّ مذكرات يمكن الاستناد إليها بهذا الخصوص منذ توليه منصبه في 2020/5/1. ومما يضفي على شخصيته مصداقية وخبرة تخصصية، عمله السابق كأستاذ

[58] Charlie Lawrence, "Urbicide: the killing of a city is an attack on the human condition," site of City Monitor, 23/1/2018.

[59] Third Committee Urges States to Classify Domicide, Conflict-Related Starvation, Poverty Wages as War Crimes, Ramp Up National, Multilateral Responses, site of United Nations (UN), General Assembly, 3rd Committee, 78th Session, 30th & 31st Meetings, GA/SHC/4388, 20/10/2023, https://press.un.org/en/2023/gashc4388.doc.htm

[60] Patrick Wintour, "Widespread destruction in Gaza puts concept of 'domicide' in focus," *The Guardian*, 7/12/2023.

للقانون والتنمية في قسم الدراسات والتخطيط الحضري في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا Massachusetts Institute of Technology (MIT)، وعمله كخبير في العديد من مجالات حقوق الإنسان، بما في ذلك الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومنظومة الأمم المتحدة، وتحديات حقوق الإنسان التي تطرحها الأنشطة التنموية.[61]

من الوثائق العامة التي يمكن التوقف عندها، في أي حالة مدروسة لتدمير المباني، تقرير قدّمه راجاغوبال إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة في تشرين الأول/ أكتوبر 2022، أكد فيه وجوب التوقف عند التدمير المنهجي وواسع النطاق لمساكن المدنيين في أثناء النزاع، ووضع حدّ لهذه الظاهرة، التي يجب أن نطلق عليها "قتل المنازل". ويومها قدّر راجاغوبال "أن هناك فراغاً قانونياً مهماً للغاية يجب ملؤه على هذا المستوى". ودعا المجتمع الدولي إلى الاعتراف بهذه الانتهاكات الخطيرة للقانون الدولي باعتبارها "جرائم قتل"، وهي جريمة متميزة بموجب القانون الجنائي الدولي، على الرغم من أنه في الوقت الحالي، لا يعدّها القانون الدولي جريمة ضدّ الإنسانية. وقال راجاغوبال: "رأيت كيف يحدث تدمير منزل في ثوانٍ معدودات، وتحويله إلى أنقاض، وهو تتويج لجهد العمر، ومدخرات لعائلات بأكملها، مع الذكريات والشعور بالانتماء إلى مكان ما". وتابع: "إن هذا القتل للمنزل يسبب صدمة اجتماعية ونفسية يصعب عليّ وصفها أو حتى تخيلها".[62]

---

[61] Gaza: Destroying civilian housing and infrastructure is an international crime, warns UN expert, site of The Office of the High Commissioner for Human Rights (OHCHR), 8/11/2023, https://www.ohchr.org/en/press-releases/2023/11/gaza-destroying-civilian-housing-and-infrastructure-international-crime

[62] حرب إسرائيل وحماس: ما هو "قتل المنزل" الذي تتهم به الدولة العبرية؟، موقع ويست فرانس، 2023/12/18، في:
https://www.ouest-france.fr/monde/gaza/guerre-israel-hamas-quest-ce-quun-domicide-dont-est-accuse-letat-hebreu-7757a3c6-9da7-11ee-83ae-1fd73f8e6449 (باللغة الفرنسية)
(Camille Descroix, Guerre Israël-Hamas: qu'est-ce qu'un "domicide", dont est accusé l'État hébreu?)

وحسب تقرير إسرائيلي في 2023/12/31، تطرّق راجاغوبال، في مقابلة مع صحيفة الغارديان، إلى تدمير مجتمعات الروهينجا في ميانمار، وأثار الحاجة إلى إنشاء فئة "قتل المنازل"، وتدمير الفضاء الحضري، باعتباره جريمة ضدّ الإنسانية، حيث لا توجد اليوم إشارة مباشرة إلى مثل هذه الحالة في القانون الدولي.[63]

على الرغم من هذه الإشكالية القانونية، تطرّق راجاغوبال لحالة التدمير الإسرائيلي في قطاع غزة، من منظور قانوني، ونقلت "وكالة فرانس Agence France-Presse (AFP)" في 2023/11/8 عنه قوله: "إن القصف واسع النطاق والممنهج للمساكن والبنية التحتية المدنية في غزة يرقى إلى مستوى جريمة حرب وجريمة ضد الإنسانية، وإن الهجمات الإسرائيلية على أهداف داخل قطاع غزة أدت – حتى ذلك الحين – إلى تدمير أو إتلاف 45 بالمائة من جميع الوحدات السكنية في القطاع، وهذا التدمير يأتي بتكلفة هائلة في الأرواح البشرية". وشدّد راجاغوبال على أن "هذا القصف للمساكن والأعيان المدنية والبنية التحتية محظور بشكل صارم بموجب القانون الدولي، وأن تنفيذ الأعمال العدائية مع العلم بأنها ستؤدي بشكل منهجي إلى تدمير وإتلاف المساكن المدنية والبنية التحتية، مما يجعل مدينة بأكملها – مثل مدينة غزة – غير صالحة للسكن للمدنيين هو جريمة حرب". وأضاف أنه "عندما تكون هذه الأعمال موجهة ضد السكان المدنيين، فإنها ترقى أيضاً إلى مستوى الجرائم ضد الإنسانية".[64]

وتحت عنوان "دوميساید: مقرر الأمم المتحدة يطالب بمساءلة إسرائيل عن تدمير غزة"، نقلت "وكالة الأناضول Anadolu Ajansı" عن راجاغوبال، في مقابلة معه، نشرتها في 2023/12/11، قوله: "إن تدمير المساكن في غزة كان على نطاق لم نشهده في أي صراع في الآونة الأخيرة، ونحن نتحدث عن الدمار على نطاق غير مفهوم بالمعنى الحرفي للكلمة". وقال:

---

[63] ميرون رابوبورت، هل تنفذ إسرائيل عملية دوميساید في غزة؟، موقع مكوميت، 2023/12/31. (باللغة العبرية)

[64] Massive Destruction of Gaza Housing a War Crime: UN Expert, Barron's, 8/11/2023, https://www.barrons.com/news/massive-destruction-of-gaza-housing-a-war-crime-un-expert-54209488, sited from Agence France Presse (AFP).

إن تدمير المنازل أمر معترف به بموجب اتفاقية جنيف، لكن هذا ينطبق فقط على النزاعات المسلحة الدولية، وهناك ثغرة في الحماية عندما يتعلق الأمر بالنزاعات المسلحة غير الدولية، وهذا ليس صراعاً بين دولتين ذات سيادة، وقد يكون من الجيد الإشارة إلى أن ما يحدث في غزة ليس صراعاً بين دولتين ذاتي سيادة لأنها أرض تحت احتلال إسرائيل، ومن المهم جداً أن ندرك إذن أن تدمير المنازل خلال هذا النوع من الصراعات يعد أيضاً جريمة.

وشدّد على "ضرورة الاعتراف رسمياً بأن قتل المنازل هو جريمة قائمة بذاتها، والتمكن من التعبئة بشكل جماعي لإدخال تعديل على نظام روما الأساسي لإدخال جريمة قتل المنازل، بحيث يكون من الممكن فعلياً محاسبة دول مثل إسرائيل". وفيما يتعلّق بالطبيعة العشوائية للهجمات الإسرائيلية، أشار راجاغوبال إلى بيان المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية كريم خان Karim Khan، الذي أوضح أن الأماكن الدينية والمدارس ومخيمات اللاجئين التابعة للأمم المتحدة هي مواقع محمية، إلى جانب المنازل. وأضاف: "إنها جميعها أعيان تتمتع بوضع مدني بموجب القانون الدولي وتدميرها ليس مسوّغاً بالضرورة العسكرية". وأشار راجاغوبال إلى أن "إجلاء الناس إلى التشرد محظور بشكل قاطع بموجب قانون حقوق الإنسان، وعمليات الإخلاء في فصل الشتاء محظورة بشكل خاص لأنها تؤدي في نهاية المطاف إلى التسبب في معاناة إنسانية هائلة، وغالباً ما تنجم وفيات عن تعرض الأشخاص للعوامل الجوية".[65]

المساءلة والمحاسبة القانونية الدولية الواجبة لـ"إسرائيل":

توظيفاً لما تقدم من أحداث وشهادات وقراءات، وسواها من هذا القبيل، يتعيّن التوقف عند المادة الثانية في "اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها"، التي اعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة

[65] Rabia Ali, 'Domicide': UN rapporteur pushes for Israel's accountability for Gaza destruction, site of Anadolu Agency, 11/12/2023, https://www.aa.com.tr/en/world/-domicide-un-rapporteur-pushes-for-israel-s-accountability-for-gaza-destruction/3079676

بقرارها 260 أ/د-3، وصدّقتها في 1948/12/9، وبدأ نفاذها في 1951/1/12، حيث نصّت هذه المادة على ما يلي:[66]

في هذه الاتفاقية، تعني الإبادة الجماعية أياً من الأفعال التالية، المرتكبة على قصد التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية، أو إثنية، أو عنصرية، أو دينية، بصفتها هذه:

(أ) قتل أعضاء من الجماعة،

(ب) إلحاق أذى جسدي أو روحي خطير بأعضاء من الجماعة،

(ج) إخضاع الجماعة، عمداً، لظروف معيشية يراد بها تدميرها المادي كلياً أو جزئياً،

(د) فرض تدابير تستهدف الحؤول دون إنجاب الأطفال داخل الجماعة،

(هـ) نقل أطفال من الجماعة، عنوة، إلى جماعة أخرى.

من أجل جعل التدمير الإسرائيلي في قطاع غزة، ينتمي إلى هذه الأفعال، يُفترض أن تنشط الجهات القانونية الفلسطينية والعربية والدولية الصديقة أو المحايدة في مجال التكييف القانوني لهذا النص، من أجل حلّ أي إشكالية تتعلق بمكانة الوقائع التدميرية (تدمير أو قتل المنازل (دوميسايد) + إبادة المناطق الحضرية (أوربيسايد)) فيه. أي ينبغي الاشتغال على انتماء هذه الوقائع إلى الأفعال المنصوص عليها في المادة الثانية، وخصوصاً الفقرتيْن ب وج. ومن شأن النجاح في اشتمال هاتيْن الفقرتيْن بشكل صريح على الوقائع المذكورة أن يرفد دعوى "الإبادة الجماعية" التي تدرسها محكمة العدل الدولية بمزيد من الشواهد والأدلة الدامغة التي تُدين "إسرائيل". ولعلّ مما يعطي هذا الأمر زخماً يقرّبه من التحقق، هو وجود دعوات دولية كثيرة تطالب بمساءلة "إسرائيل"، ومحاسبتها على جريمة التدمير التي تقترفها بحقّ قطاع غزة.

[66] نص الاتفاقية باللغة العربية في: ما هي اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية: 7 نقاط أساسية، موقع أخبار الأمم المتحدة، 2024/1/11، في: https://news.un.org/ar/story/2024/01/1127587

خاتمة:

يُستشفّ مما تقدّم أنه يُراد من التدمير الإسرائيلي في قطاع غزة؛ فصم عُرى الارتباط الوثيق بين الناس والمكان الذي يعيشون فيه، أي عملية إبادة طرفيْ الوجود الفلسطيني المادي. وإذا كانت هذه الإبادة ترمي إلى تحقيق مقولة مستقبلية من قبيل عبارة "ما كان يُسمى قطاع غزة"، فإن ثمّة درساً تاريخياً لا يمكن إغفاله، هو أن حوادث استشهاد الناس واستشهاد مبانيهم تعدّ أثماناً باهظة، اعتاد الشعب الفلسطيني عليها في مسيرته النضالية المديدة، ولكنه اعتاد أيضاً، بعد كل كارثة أو مصيبة، على مواصلة إصراره للبقاء في وطنه، مجسّداً أسطورة طائر الفينيق الذي ينهض من الرماد.

وخلافاً لكل المراهنات الإسرائيلية، بشأن تحويل قطاع غزة إلى مكان غير صالح للعيش فيه، تبرز حقيقة راسخة هي أن حسابات المدى الاستراتيجي، لا تتطابق بالضرورة مع حسابات الحالة الجارية. وعلى صلة بذلك، من المؤكد أن مواطني القطاع سيتعاملون مع تدمير المكان بإرادة الحياة وبامتلاك القدرة لمواصلة تأمين عوامل بقائهم فيه.

وغنيّ عن البيان أن التحدي الماثل حالياً على الساحة الفلسطينية يتركز حول قضايا جوهرية، في مقدمتها: مواجهة العدوان وهزيمته، والحفاظ على الوجود، ورفض التهجير، وإعادة البناء، ومواصلة النهج المقاوم، والدفاع عن عدالة القضية في المحافل الدولية. وهو ما يستوجب توظيف جميع الطاقات الذاتية والتحالفية والارتقاء بها، لمراكمة عوامل الصمود والانتصار الواعدة على مدى "زمن الأفراد" و"زمن المجتمعات".